أبو الحسن علي الحسني الندوي

فضل البعثة المحمدية على الإنسانية ومنحها العالمية الخالدة

ملتزم الطبع و النشر
المجمع الاسلامى العلمى
ندوة العلماء — ص . ب ١١٩
لكهنؤ - الهند

www.abulhasanalinadwi.org

من مطبوعات المجمع الاسلامى العلمى

رقم ١٣٩

١٤٠٠هـ — ١٩٨٠م

مطبعة لكهنؤ پبليشنك هاؤس - لكنؤ (الهند)

www.abulhasanalinadwi.org

بسم الله الرحمن الرحيم

فضل البعثة المحمدية على الإنسانية ومنهجها العالمية الخالدة (١)

إعلان فريد في تاريخ الرسالات والديانات :

قال الله تعالى مخاطباً لنبيه محمد ﷺ : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين(٢) » ، هذا إعلان فريد من نوعه ، جاء في كتاب خالد قدر الله سبحانه وتعالى له أن يتلى في كل مكان وزمان ، ويبلغ عدد قرائه ملايين الملايين ، وقال عنه : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون »(٣) .

إن سعة هذا الإعلان ، وإطاره الكبير ، ومساحته بحساب الزمان والمكان ، تجعلان هذا الإعلان خارقاً للعادة لا يمكن أن يمر به الإنسان الواعي مراً عابراً سريعاً ، فإن مساحته

---

(١) محاضرة القاها المؤلف في ٢٠ من ربيع الآخر ١٣٩٥هـ (٢/ ٥/ ١٩٧٥م) في قاعة المحاضرات الكبرى بمدينة لكهنئو - الهند، حضرها جمّ غفير من المثقفين من جميع طبقات الشعب؛ ومن المسلمين وغير المسلمين؛ نقلها الى العربية الأستاذ محمد الحسني رئيس تحرير مجلة « البعث الاسلامي » وتناولها المحاضر بالتنقيح والتهذيب وبشيء من الحذف والزيادة ...

(٢) سورة الأنبياء - ١٠٧ .
(٣) سورة الحجر - ٩

www.abulhasanalinadwi.org

الزمنية تحوي جميع الأجيال ، والأدوار التاريخية التي تتلو البعثة المحمدية ، ومساحته المكانية تسع العالم كله ، فإن الله سبحانه وتعالى لم يقل إننا أرسلناك رحمة لجزيرة العرب ، أو للشرق أو الغرب أو لقارة ، مثل آسيا مثلاً ، بل إنه قال : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » .

الحق إن سعة هذا الإعلان وشموله ، وعظمته وسموه ، واستمراره وخلوده ، كل ذلك يقتضي أن يقف عنده مؤرخو العالم وفلاسفته ، ونوابغه ، وأذكياؤه ، حيارى مشدوهين ، بل يقف أمامه الفكر الإنساني كله حائراً مشدوهاً ، وينقطع إليه كلياً ـ ردحة من الزمن ـ يبحث في مدى صدق هذا الإعلان ، أو صحة هذا الواقع ، لأننا لم نجد في تاريخ الأديان والنحل ، وفي تاريخ الحضارات والفلسفات ، وتاريخ الحركات الإصلاحية والمحاولات الثورية ، بل في تاريخ العالم كله ، وفي المكتبة الإنسانية بأسرها مثل هذا الإعلان المحيط بالكون كله ، والأجيال البشرية كلها ، والأدوار التاريخية بأجمعها حول أي شخصية من شخصيات العالم ، حتى إن خلاصة تعاليم الأنبياء السابقين ، ونبذة من أحوالهم وسيرتهم التي وصلت إلينا هي أيضاً مجردة عن مثل هذا الإعلان .

أما اليهودية ـ وهي ديانة قديمة مشهورة ـ فإنها تنظر إلى الله كربّ بني إسرائيل ، وإله بني إسرائيل في الغالب ، إن

www.abulhasanalinadwi.org

صحف العهد القديم ، والكتب المقدسة الدينية عند اليهود تخلو من ذكر الله كربّ العالمين ، وربّ الكون بتاتاً ، ولذلك فالبحث في سيرة نبي من أنبيائهم ، مثل موسى وهارون ، أو داود وسليمان ، عن مثل هذا الإعلان ، عبث وإضاعة وقت فإن هذه الديانة لم تكن - في أي مرحلة من مراحلها - رسالة رحمة ومساواة للجيل الإنساني كله ، من غير تمييز عنصري ولم تشجع فيها الدعوة إلى هذه الديانة خارج شعب إسرائيل أبداً[1] .

أما المسيحية التي عرفت بتسامحها وحماسها للدعوة ، وعطفها على الإنسانية ، فإن نبيها - المسيح عليه السلام - صرح بأنه لم يبعث إلا ليرعى خراف بني إسرائيل الضالة[2] . وحين لفت نظره إلى بعض المرضى الذين لم تكن لهم صلة رحم ونسب ببني إسرائيل اعتذر وقال : « إني لست ذلك الرجل الذي يعطي خبز الأولاد للكلاب[3] » .

أما الديانات الشرقية والآسيوية الأخرى ، وخاصة الهندكية فإنها لا تختلف كثيراً عن النموذج السابق ، بل إنها

---

(١) أنظر للتوسع والتفصيل في هذا الموضوع كتاب المهتدية الأمريكية الفاضلة مريم جميلة :

Islam Versus Ahl-E-Kitab, Past and Present 22-23 .

(٢) انجيل متى ، باب ١٥ - آية ٢٤ ، وباب ١٠ - آية ٦ - ٧

(٣) متى ، باب ١٥ - آية ٢٦ .

www.abulhasanalinadwi.org

تسبق الديانات السابقة أحياناً في تقديس النسب والسلالة ، وتوزيع الناس في طبقات توزيعاً ظالماً جائراً ، لا يعرف اللين والمرونة ، فقد كان المنبوذون في المجتمع الهندي محرومين من كل نوع من التكريم والشرف والمساواة ، ومن أولى حقوق الإنسان ، وأبسط مبادئ الإنسانية ، لا يجوز لهم تحصيل العلم ، والتعليم والتدريس ، والتطلع إلى الهضبة الروحية ، فقد خص دراسة « ويدا » وتقديم القرابين ، والنذر لآلهتهم وأوثانهم ، بالبراهمة فحسب[1]، وكان النظر في كتب « ويدا » ودراستها مقصوراً على فئة الشترى والويش[2] وقد صرح «منوشاشتر» أن المنبوذين لم يخلقهم الله إلا لغرض واحد ، وهو خدمة الطبقات الثلاث التي مضى ذكرها[3] ، إن أهل الهند القدامى لم يكونوا يعرفون وراء جبال « هملايا » دنيا ، لا صلة لهم بالعالم الخارجي ، وبالشعوب الأخرى ، ولا رغبة لهم في الإطلال عليها ، لذلك فإن البحث عن مثل هذا الإعلان عن نبي أو ولي أو مصلح فيهم عبث وإضاعة جهد ووقت ، الحقيقة أن البحث عن نبي يكون رحمة للعالمين في ديانة لا تحمل عقيدة « رب العالمين » غير معقول وغير منطقي .

---

(١) منوشاشتر؛ الباب الأول ـ ٨٨.
(٢) الباب الأول ـ آية ٨٩ ـ ٩٠.
(٣) الباب الأول ـ ٩١.

www.abulhasanalinadwi.org

قيمة الرحمة التي اقترنت بالبعثة المحمدية كمّا وكيفا :

إن لتقدير شيء ووضعه في محله المناسب ومكانه اللائق مقياسين بصورة عامة ، الأول مقداره وحجمه الذي يعبر عنه في المصطلح الحديث بالكمية Quantity والثاني جوهره ووصفه الذي يقال له الكيفية Quality وهذا الإعلان الذي نادى به القرآن يشمل هذين النوعين ، ويجمع بين الناحيتين ، فإن بعثته ﷺ ، وشخصه العظيم ، وتعاليمه السامية الخالدة ، أفاضت على الإنسانية مسحة جديدة من الحياة والنشاط ، وكانت السبب المباشر في شفائها من أسقامها وعلاّتها ، وفي حل معضلاتها ، ونهاية آلامها وأحزانها ، وهطول أمطار الرحمة والبركة ، واليمن والسعادة ، والخير والفلاح على أرضها المجدبة القاحلة ، وكانت هذه المعطيات المحمدية الغالية منقطعة النظير بحساب السعة والوفرة ، والحجم والكمية Quantity وبحساب النفع والإفادة والجوهر والكيفية Quality أيضاً .

« الرحمة » لفظ شاع استعماله في حياتنا اليومية ، وهو يطلق على كل شيء ينال به الإنسان نفعاً وراحة ، أما أنواع الرحمة وأقسامها ، ودرجاتها ومدارجها ، فلا حصر لها ، يقدم أحدنا الماء البارد إلى أخيه العطشان ، ويدل المسافر والغريب

www.abulhasanalinadwi.org

على الطريق ، ويحرك له المروحة في يوم صائف ، شديد الحر ، الأم تحنو على طفلها ، الأب يربي ولده ويعلمه ، ويزوده بحاجيات الحياة ، المدرس يدرس تلاميذه ،ويمنحهم ما عنده من نعمة العلم ، وهكذا إطعام الجائع المسكين ، وإكرام الضيف ، وكساء العريان ، كل ذلك من مظاهر الرحمة العامة ، وألوانها المختلفة الزاهية ، وهي تستحق منا كل تقدير ، واعتراف وشكر .

ولكن أكبر مظهر من مظاهر الرحمة ، وأروع صورة من صورها الجميلة أن ينقذ أحدنا أخاه من مخالب الموت ، هناك طفل صغير بريء نراه في حالة الاحتضار ، كاد يلفظ نفسه الأخير ، الأم تقف إلى جواره تبكي ، قد أظلمت الدنيا في ناظريها ، وانقطع أملها في فلذة كبدها ، ومأوى حنانها وحبها ، الأب يسعى هنا وهناك هائماً على وجهه ، فلا يجد راقياً وأنيساً ، هناك يأتي طبيب حاذق ، كما ينزل الملك من السماء ويقول مهلاً . . . لا داعي للقلق ، ولا موجب لليأس ، ولا يلقي في فم الطفل قطرات قليلة من الدواء حتى يفتح عينيه وينشط ، تصور ماذا يقال لهذا الطبيب ، ألا يقال له انه ملك الرحمة ، أرسله الله لإنقاذ هذا الطفل ، وإعادة الحياة إليه ، هنالك تتلاشى كل هذه الأنواع من الرحمة التي قدمناها أولاً ، وتذوب أمام هذا المظهر الرائع الأخاذ من الرحمة ، إنها ليست منة على الطفل فقط ، بل على أسرته كلها .

www.abulhasanalinadwi.org

نرى أعمى يمشي متوكئاً على عصاه ، قد شارف هوة عميقة أو بئراً ، قد تكون خطوته التالية خطوة الموت ، فيهرول إليه عبد من عباد الله ويأخذ بحجزه ويمنعه عن الوقوع في هذه الهوة ، أفلا نسميه ملك الرحمة ؟ .

هذا شاب يافع ، قرة عين أبويه ، وكفيل عائلته الفقيرة قد أشرف على الغرق في نهر فائض يحاول أن يطفو على الماء، ولكن بدون جدوى ، فيقفز إليه رجل مجازفاً بحياته ، ويأخذ به إلى ساحل النجاة ، فيحمله رب الأسرة أو إخوة هذا الشاب ، على أعناقهم ويضمونه إلى صدورهم ، بحرارة وحب، ولا ينسون فضله على أسرتهم الصغيرة مدى الدهر ؟ ترى هل تساوي مظاهر الرحمة الأولى ، هذه الرحمة العظيمة الغالية ؟ .

البعثة المحمدية أنقذت الجيل البشري من الشقاء والهلاك :

ولكن آخر مظهر من مظاهر الرحمة وقمتها وذروة سنامها ، هي أن ينقذ رجل الإنسانية كلها من الهلاك ، وهناك فرق عظيم بين هلاك وهلاك ، وبين خطر وخطر ، ذلك هلاك محدود سطحي ، وخطر عابر قد يزول ، وهذا هلاك أبدي ، وخطر مستمر لا يزول ، لذلك فان رحمة الأنبياء بالنوع البشري

www.abulhasanalinadwi.org

لا تقاس أبداً على هذه الرحمات ، رغم أهميتها وعظمتها .

وإن أمامنا بحراً هائجاً من الحياة لم يلتقم الأفراد والآحاد فحسب ، بل انه ابتلع الأمم والبلاد ، وهضم الحضارات والمدنيات ، ترتفع أمواجه العاتية الهائلة ، كأفواه التماسيح الفاغرة ، وتنقض على الجماعات البشرية كالأسد الضاري ، والمشكلة أنه كيف نعبر هذا البحر الهادر الزاخر الذي لا يعرف الرحمة ، وكيف ننزل بسفينة الإنسانية على بر الأمان ، ولا يكون صاحب الفضل الأكبر في هذا المجال ، ولا يعتبر أكبر منقذ للإنسانية وصاحب المنة عليها ، والاحسان اليها ، الا من يجدف هذه السفينة ، التي تلعب بها العواصف الهوجاء ، والأمواج الهائلة كالجبال ، والتي غصت بركابها ، وغاب الملاح والربان ـ ثم يوصلها بسلامة الى ساحل النجاة !

إن النوع البشري شاكر لهؤلاء الذين منحوه هدية العلم ، ويشكر هؤلاء الذين جمعوا له هذه الأكداس من المعلومات ، ويشكر الذين هيأوا له كل هذه التسهيلات ، وزودوه بوسائل الراحة والرخاء ، وذللوا صعاب الحياة ، واقتحموا عقباتها وشعابها ، انه لا يبخس حق أحد من هؤلاء ، ولا ينكر فضلهم عليه ، ولكن قضيته الكبرى ، ومشكلته الأولى هي أنه كيف ينقذ نفسه من أعدائه الذين وقفوا له بالمرصاد ، وأحاطوا به من كل جانب ، وكيف يصل بسفينته

www.abulhasanalinadwi.org

الى بر السلامة والأمان .

فما هي أمواج هذا البحر ، وما هي تماسيحه الضارية الشرسة؟ .

إنها الجهل عن خالق هذا الكون ورب العالمين ، وعن صفاته العليا ، وأسمائه الحسنى والوقوع في حبائل الشرك والوثنية ، وعبادة الأصنام ، والاسترسال مع الخرافات والأوهام ، إنها بلادة حسّ الإنسانية ، وذهولها عن نفسها ، وغفلتها عن خالقها وبارئها .

إنها عبادة المادة والمعدة ، وتعدي الحدود ، وانتهاك الحرمات ، وسورة النفس الأمارة بالسوء ، والتهرب من أداء الواجبات والحقوق ، والإصرار على المنافع والحظوظ .

إن أكبر خطر على الإنسانية أن يحدث في بنائها خلل ، وتحيد لبنتها الأساسية عن مكانها الصحيح ، فينسى الانسان قيمته ومداركه ، وغاية حياته ، ويظن نفسه ذئباً مفترساً ، أو أفعى أو ثعباناً ، فحين يذهب الانسان عن هذه الحقائق الكبرى يتحول بحر هذه الحياة الى نار متأججة ، ولهب مرتفعة ، هنالك يزدرد الانسان أخاه ، ويفترسه ، ولا يحتاج الى الثعابين ، والعقارب ، والذئاب ، والفهود . . . فقد ينقلب الانسان أكبر ذئب في هذه الغابة الإنسانية . . . تخجل

www.abulhasanalinadwi.org

أمامه ذئاب، ويتحول شيطاناً مارداً ، تستحي منه الشياطين ، هنالك يحترق الانسان ، ويشوى في ناره التي أشعلها بنفسه ، ولا يحتاج الى أن يستوردها من الخارج .

في هذه الفترة الرهيبة المظلمة تهب نفحة من نفحات الرحمة الالهية ، وتنعش رفات الإنسانية الخامدة الهامدة ، وتزودها بملاحين يجدفون سفينتها بنجاح ومهارة .

مهمّة النّبوة ودورها في الإنقاذ والإسعاد وطبيعة عمل الأنبياء :

وأضرب ـ لتوضيح مهمة النبوة ، وطبيعة عمل الأنبياء مثلا سوف نفهم به مهمة النبوة وموقفها من غير دلائل فلسفية دقيقة .

يحكى أن فريقاً من تلاميذ المدارس ركبوا سفينة للنزهة في البحر ، أو للوصول الى البر ، وكان في النفس نشاط وفي الوقت سعة ، وكان الملاح المجدّف الأمي خير موضوع للدعابة والتنادر ، وخير وسيلة للتلهي ، وترويح النفس، فخاطبه تلميذ ذكي جريء وقال : يا عم ماذا درست من العلوم ؟ قال الملاح : ولا شيء يا عزيزي ! ، قال : أما درست العلوم الطبيعية يا عمي ؟ قال ، كلا وما سمعت بها.

وتكلم أحد التلاميذ ، فقال : ولكنك لا بد درست

www.abulhasanalinadwi.org

علم الأقليدس والجبر والمقابلة! قال : وهذا أغرب ، وتصدقون أني أول مرة أسمع هذه الأسماء الهائلة الغريبة .

وتكلم ثالث « شاطر » فقال : ولكني متأكد من أنك درست الجغرافية والتاريخ ؟ فقال : هل هما اسمان لبلدين ، أو علمان لشخصين ؟ .

وهنا لم يملك الشباب نفوسهم المرحة ، وعلا صوتهم بالقهقهة ، وقالوا : ما سنك يا عم ؟ قال أنا في الأربعين من سني ! قالوا: لقد ضيعت نصف عمرك يا عمنا ! ، وسكت الملاح الأمي على غصص ومضض ، وبقي ينتظر دوره ، والزمان دوار .

وهاج البحر وماج ، وارتفعت الأمواج ، وبدأت السفينة تضطرب ، والأمواج فاغرة أفواهها لتبتلعها ، واضطرب الشباب في السفينة ـ وكانت أول تجربتهم في البحر ـ وأشرفت السفينة على الغرق .

وجاء دور الملاح الأمي ، فقال في هدوء ووقار : ما هي العلوم التي درستموها يا شباب ؟ وبدأ الشباب يتلون قائمة طويلة للعلوم والآداب التي درسوها في الكلية ، ويتوسعون فيها في الجامعة ، من غير أن يفطنوا لغرض الملاح الجاهل ، الحكيم ، ولما انتهوا من عدّ العلوم المرعبة أسماؤها ، قال في وقار تمزجه نشوة الانتصار : لقد درستم يا أبنائي هذه العلوم

www.abulhasanalinadwi.org

الكثيرة فهل درستم علم السباحة؟ ، وهل تعرفون إذا انقلبت هذه السفينة ـ لا قدر الله ـ كيف تسبحون وتصلون الى الساحل بسلام؟ ، قالوا : لا والله يا عم ، هو العلم الوحيد الذي فاتتنا دراسته والإلمام به .

هنالك ضحك الملاح ، وقال اذا كنت ضيعت نصف عمري ، فقد أتلفتم عمركم كله ، لأن هذه العلوم لا تغني عنكم في هذا الطوفان ، إنما كان ينفعكم العلم الوحيد، وهو علم السباحة الذي تجهلونه[1] .

هذه مهمة النبوة ودورها في إنقاذ البشرية المشرفة على الغرق ، وهذه طبيعة عمل الأنبياء والرسل ، وامتيازه عن سائر أصناف التعليم والتربية ، والترويح والتسلية ، يمنحون الجيل البشري « علم النجاة » ويعلمونه فن السباحة ، وتجديف سفينة الحياة .

إن التاريخ الإنساني يدل دلالة واضحة على أنه لما غرقت سفينة الحياة لفساد أخلاق الناس ، وسيئات أعمالهم ، غرقت بكل ما فيها من مجموعة بشرية ، ورصيد حضاري ، ومحصول فكري ، وإنتاج علمي وفلسفي ، وبكل ما فيها من روائع الشعر والأدب والبيان ، وان هذه السفنية لم تغرق أبداً من أجل الانحطاط الأدبي ، وقلة المدارس والجامعات ، وفقدان

(١) القصة مقتبسة من كتاب المؤلف « النبوة والأنبياء في ضوء القرآن » .

www.abulhasanalinadwi.org

التعليم العالي ، أو من قلة المال وانخفاض مستوى المعيشة ، إنها غرقت لأن الإنسان أعدّ نفسه للانتحار ، إنه صار معولا هداماً لذلك البناء الذي فيه متاعه وأهله ، إن التاريخ يدلنا على أن الفكر الإنساني أصيب في كثير من الأحيان بنوبات عصبية دفعته الى التدمير ، والإبادة بدلا من التعمير والبناء ، فقد رأينا مستغربين مأخوذين بالحيرة والدهشة ، ورأينا بأم أعيننا ، ونحن لا نكاد نصدق هذا الواقع لهول المنظر وبشاعة الوضع ، أن الانسان قام يهدم أساسه بكل قوة وحماس ، ذلك الأساس الذي قام عليه صرحه الحضاري ، والفكري العظيم ، وظل مشتغلا بهذه العملية المجنونة بكل شوق ورغبة ، كأنها عملية بناءة ومأثرة إنسانية رائعة ، وخدمة ممتازة وصار يلح على الوقوع في خندق الموت ، وقد تملكته السآمة من الحياة ، واستبد به الشوق الى الهلاك ، كأن الحياة عذاب وجحيم ، والهلاك جنة ونعيم .

تصوير العصر الجاهلي وتهيؤه للانهيار والانتحار :

ذلك هو الوضع الذي ساد على العالم في القرن السادس المسيحي ، فاننا نجد هناك استعدادات عامة للانتحار الاجتماعي العام ، لم يكن النوع البشري في ذلك الزمان راضياً بالانتحار فحسب ، بل كان يتساقط عليه ، ويتهالك فيه ، كأنه نذر به وحلف ، فيريد أن يفي بنذره ولا يحنث في قسمه ، ولقد

www.abulhasanalinadwi.org

صور القرآن العظيم هذا المنظر وهذا الوضع تصويراً دقيقاً ، لا يصوره أي رسام أو أديب ، أو روائي أو مؤرخ :

« واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخواناً ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها[1] » .

رحم الله المؤرخين ، ورواة السيرة فانهم لم يصوروا الجاهلية حين سردوا لنا وقائع البعثة المحمدية ـ تصويراً صحيحاً دقيقاً ، وهم معذورون ومأجورون ، مثابون ومشكورون ، فان ذخيرة الأدب واللغة لا تسعفهم كل الاسعاف ، الحقيقة أن هذا الوضع في قمة من الهيبة والفظاعة ، وفي منتهى الدقة والتعقيد ، لا يمكن وصفه بريشة قلم ، والتعبير عنه بأي قدرة بيانية ، وصلاحية لغوية .

هل كان العصر الجاهلي ـ الذي بعث فيه محمدﷺ ـ قضية انحطاط اجتماعي أو خلقي ، هل كان قضية وثنية مجردة ، أو قضية خمر وقمار ، وعبث واستهتار أو ظلم واستبداد ، قضية قوانين اقتصادية جائرة ، وتعسف الحكام الغاشمين ، هل كان قضية وأد البنات ، كلا ، إنه كان قضية وأد الإنسانية كلها .

---

(١) سورة آل عمران ١٠٣ .

www.abulhasanalinadwi.org

لقد انتهى هذا الدور، وانقرض هذا الجيل ، وغاب هذا التصوير البشع عن أعين الناس فكيف نعيده ونمثله ، ونجعله حسياً شاخصاً تراه الأبصار ، وتلمسه البنان ، وجل ما نستطيع أن نقول ، إنه عصر جاهلي لا يفهمه حق الفهم الا من عاش فيه واكتوى بناره ، ولو كان لمصور يحاول التصوير يمكن أن يمثل البشرية في صورة إنسان في غاية الجمال والصحة ، والأناقة وحسن الهندام ، الانسان الذي هو نموذج بديع فريد ، لصنع الله الذي أتقن كل شيء ، والذي هو محسود الملائكة ، وغاية الخلق ، الذي كللّه الله بتاج خلافته ، فصار زينة الوجود ، ولب لباب الحقيقة والعرفان ، وبه تحولت هذه الأرض الخراب اليباب الى روضة غناء ، وحديقة فيحاء ، ثم يصور هذا الانسان يريد أن يقفز في خندق عظيم هائل ترتفع منه ألسنة اللهيب ، وقد تحفز واستجمع قواه ، وجمع ثيابه ، ورفع رجله في الفضاء فعلا ، وكاد يقع فيه ، وما هي الا دقائق وثوان حتى يغيب في هذا الظلام المهيب ، ظلام الموت ، فلعل هذا التصوير يصور بعض الجانب من العصر الجاهلي عند بعثة النبي ﷺ ، وقد أشار القرآن الى هذه الحقيقة ، فقال في ايجاز وفي اعجاز: «وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها » ، وذلك ما شرحه لسان النبوة بمثال رائع بليغ ، فقال عليه الصلاة والسلام :

« مثلي كمثل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله

www.abulhasanalinadwi.org

جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها وجعل يحجزهن ويغلبنه، فيقتحمن فيها ، فأنا آخذ بحجزكم عن النار ، وأنتم تقحمون فيها ، وقال في آخرها: فذلك مثلي ومثلكم ، أنا آخذ بحجزكم عن النار هلم عن النار ، هلم عن النار ، فتغلبوني وتقحمون فيها[1] » .

لقد كانت القضية الكبرى في هذه القصة كلها، أن تصل سفينة الإنسانية بسلامة الله وفي حفظه ورعايته الى شاطىء النجاة، لأنه حين يستوي الإنسان ويعتدل طبعه ، وتتحلى الحياة بالاقتصاد والاتزان ، وتنفعه ، اذا كل هذه المشروعات البنائية والانمائية ، أو الأدبية والعلمية التي يؤتي مواهبها كثير من أصدقاء الإنسانية وأنصارها ، ومن هنالك ، فإن الإنسانية كلها مدينة للأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ لأنهم أنقذوها من تلك الأخطار المحدقة التي سلطت على رأسها كالسيف المصلت ، ولا يتحرر من منتهم وفضلهم مشروع علمي ،وتخطيط اجتماعي ، ولا مدرسة فكرية ، أو فلسفية كما أن العالم المعاصر مدين لهم في هذا البقاء والاستمرار ، وجدارة الحياة، لأن الإنسان اعترف ـ أحياناً كثيرة ـ بلسان حاله ، ان لم يقل بلسان مقاله، أنه فقد حق البقاء في هذه الأرض ، وانه لا يحمل الآن أي رحمة وبركة ،

(١) متفق عليه، برواية أبي هريرة رضي الله عنه.

www.abulhasanalinadwi.org

وفيض وإفادة ، ودعوة ورسالة للإنسانية ، انه رفع الدعوى في المحكمة الالهية ضد نفسه ، وشهد عليه، لقد كانت ملفاته مهيأة للحكم العادل الأخير ، وقد نصب الإنسان نفسه لأكبر عقوبة تتصور ، بل لعقوبة الإعدام ، ولا عجب في ذلك ، فحينما تتعدى المدنية حدودها الطبيعية وتخرج من طورها ، وتنسى القيم الخلقية كلياً : أو تكفر بها صراحة وعلناً ، ويتغافل الإنسان عن كل غاية نبيلة ، ومقصد شريف، وعن كل واقع وحقيقة غير الحقائق المادية ، وتحقيق مآربه الجسدية ، وإرواء ظمئه الحيواني ، وحينما يحل محل القلب الإنساني قلب الذئب والنمر ، والفهد وتتكون في جسمه معدة خيالية أو صناعية ، ونفس أمارة بالسوء ، لا يقر لها قرار ، ولا يضبطها وازع أو رادع ، وحينما تصيب الإنسانية نوبة شديدة من الجنون ، يبعث الله لها جماعة من الجراحين ، أو عصابة من السفاحين ، وتأتي لأورامها المنتفخة سكاكين من ظهر الغيب تقضي عليها وتقطع دابرها وتستأصل شأفتها .

إن فساد المدنية وهوسها وجنونها أشد من جنون الملكية والحكم الشخصي ، وأوسع منه شراً لأنه حين يجن جنون شخص ضعيف نحيل واحد يقض مضاجع أهل الحارة كلها ، وينغص عيشهم الهادىء ، تصور ماذا يحدث في العالم ، اذا جن جنون النوع البشري أجمع ، وتنخر هيكل المدنية وتعفن ، وفسدت طبيعة الإنسانية ؟ هل له من رقية أو علاج ؟ .

www.abulhasanalinadwi.org

إلاَّ أنه لم تفسد المدنية فحسب في العصر الجاهلي ، بل تفسخت جثتها ، وتعفنت ونشأت فيها ديدان قذرة ، وأصبح الانسان يقتنص الانسان ويصطاده ، ويتلذذ بسكراته وشدائده عند الموت ، ويتمتع بحالة الاحتضار ، كما يتمتع أحدنا بمنظر البساتين والأشجار ، والورود والأزهار ويطرب ويهتز لاضطرابه وتقلبه على الحجر ، ويفرح بأنين المصاب والمريض والمنكوب ، وصراخه وعويله ، كما يفرح بالشراب الهنيء ، والطعام الشهي أو بالمنظر السار الجميل.

سرح طرفك في تاريخ رومة التي تغنت أوربا ـ ولا تزال ـ بفتوحها وبطولاتها ، وأمجادها وتشريعها وحضارتها ، تجد نموذجاً حياً للقسوة البشرية التي بلغت قمتها في هذا العصر يقول « ليكي » في كتابه « تاريخ أخلاق أوربا » يصور جانباً من همجية الانسان وضراوته ، ووحشيته النادرة ، يقول :

إن أكثر المناظر سحراً على نفوس أهل رومة ، وأعظم تسلية ومتعة لهم ، كان حين يسقط الجريح في مبارزة أحد الأبطال من بني جنسه ، أو مصارعة سبع ضار يتشحط في دمه ، هنالك كان يفلت الزمام ، ويغلب الناس على أمرهم ، ويفقدون رشدهم ، فيتهالك الحشد الحاشد ـ وفيه النساء والأطفال ، والشيوخ العجز ـ على الدنو من هذا المنظر الرهيب ، والانسان البائس الشقي ، وهو من بني جلدتهم

www.abulhasanalinadwi.org

وأبناء بلادهم ليمتعوا نفوسهم بمشاهدة احتضاره ، ولـيرن في آذانهم رنين أنينه فقـد كان أجمـل من كل غنـاء وموسيقـى ، وسجع الطيور ، وكان رجال الشرطة الـذين كان من واجبهـم المحافظة على النظام، يقفون مشدوهين مكتـوفي الأيدي أمـام هذه الموجة العارمة من المتعة الظالمة الآثمـة ، لا يملـكون من أمرهم شيئاً[1] » .

لقد كانت قصة الجاهلية الأولى أن حجرهـا الأسـاسي حاد عن موضعه، بل تحطم وتهشم ولم يبق أمل في اصلاحه ، ووضعه في محلـه الصـحيح ، ووقف الإنسـان أمـام المحكمـة الالهية ينتظر الحكم النهائي الأخير في مصيره ، هنـالك بعـث محمد ﷺ ، ونادى صوت السماء : « ومـا أرسلنـاك الا رحمـة للعالمين » .

العالم الجديد في حساب البعثة المحمدية ومنحها :

الحقيقة التي لا مراء فيها أن هذا الدور الذي نعيشه ، وما يليه من الأدوار التاريخية القادمة ، كلها في حساب البعثة المحمدية ، ودعوته العامة الخالدة ، وجهوده المشكورة المثمرة ، لأنه رفع ـ أولا ـ هذا السيف المصلت على رقاب الإنسانية الذي كاد يقضي عليه ، ثم أغناها بمنـح غالية ومعـطيات خالـدة ،

---

(١) راجع «تاريخ أخلاق أوربا» للمؤلف الانجليزي «ليكي» ج١، ص ٢٣٠

www.abulhasanalinadwi.org

وهدايا طريفة جديدة ، بعث فيها الحيوية والنشاط، والهمة والطموح ، والعزة والكرامة ، والهدف الصحيح ، والغاية النبيلة ، واستهل ـ بفضل هذه المنح والمعطيات ـ عهد جديد من السموّ الإنساني ، والثقافة والمدنية ، والربانية والإخلاص ، وإنشاء الإنسان وتكوينه الخلقي والاجتماعي .

منح البعثة المحمدية الستة ، وأثرها في تاريخ الانسان :

ونذكر الآن ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ ستة من معطياته الهامة ، ومنحه الأساسية الغالية التي كان لها الدور الأكبر في توجيه النوع البشري ، واصلاحه وارشاده، ونهضته وازدهاره والتي خلقت عالماً مشرقاً جديداً لا يشبه العالم الشاحب القديم في شيء .

عقيدة التوحيد النقية الواضحة :

مأثرته الأولى ﷺ ، أنه منح الإنسانية عقيدة التوحيد الصافية الغالية ، فهي عقيدة ثائرة معجزة متدفقة بالقوة والحياة ، مقلبة للأوضاع ، مدمرة للآلهة الباطلة لم تنل ولن تنال الإنسانية مثلها الى يوم القيامة .

هذا الإنسان الذي يحمل دعاوى فارغة ، ومزاعم جوفاء من الشعر والفلسفة والسياسة والاجتماع ، والذي استعبد الأمم

www.abulhasanalinadwi.org

والبلاد مراراً كثيرة ، والذي حوّل الأحجار الصماء أزهاراً عبقة فيحاء ، وفجر الأنهار من بطون الجبال، والذي ادّعى الربوبية أحياناً ، هذا الإنسان كان يسجد لأشياء تافهة لا تضر ولا تنفع ، ولا تعطي ولا تمنع ، « وان يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب[1] » ، وكان يركع أمام أشياء صنعها بنفسه ، ويخافها ، ويرجو منها الخير ، إنه لم يخر ساجداً للجبال والأنهار ، والأشجار والحيوانات ، والأرواح والشياطين، وسائر مظاهر الطبيعة فحسب ، بل سجد للحشرات والديدان أيضاً ، وقضى حياته كلها بين هواجس ووساوس ، وبين أخيلة وأوهام ، وأمان وأحلام كانت نتيجته الطبيعية الجبن والوهن ، والفوضى الفكرية ، والقلق النفسي وفقدان الثقة ، وعدم الاستقرار ، فأغناه ﷺ ، بعقيدة صافية نقية سهلة سائغة ، حافزة للهمم ، باعثة للحياة، فتخلص من كل خوف ووجل ، وصار لا يخاف أحداً إلا الله ، وعلم علم اليقين ، أنه وحده ، هو الضار والنافع ، والمعطي والمانع ، وأنه وحده الكفيل لحاجات البشر، فتغير العالم كله في نظره بهذه المعرفة الجديدة ، والاكتشاف الجديد ، وصار مصونا عن كل نوع من العبودية والرق ، وعن كل رجاء وخوف من المخلوق ، وعن كل ما يشتت البال ، ويشوش الأفكار ، فقد شعر بوحدة في هذه الكثرة ، واعتبر نفسه أشرف خلق

(١) سورة الحج ٧٣ .

www.abulhasanalinadwi.org

الله ، وسيد هذه الأرض ، وخليفة الله فيها يطيع ربه وخالقه ، وينفذ أوامره ، ويحقق بذلك هذا الشرف الإنساني العظيم ، والعظمة الإنسانية الخالدة التي حرمتها الدنيا منذ زمن بعيد.

انها البعثة المحمدية التي أتحفت الإنسانية بهذه التحفة النادرة ـ عقيدة التوحيد ـ التي كانت مجهولة مغمورة ، مظلومة مغبونة ، أكثر من أي عقيدة في العالم ، ثم ردّد صداها العالم كله ، وتأثرت بها الفلسفات العالمية والدعوات العالمية كلها في قليل أو كثير.

ان بعض الديانات الكبيرة التي نشأت على الشرك وتعدد الآلهة ، وامتزجت به لحماً ودماً ، اضطرت في الأخير الى أن تعترف ـ ولو بصوت خافت ، وهمسة في الآفان ـ ان الله واحد لا شريك له وأرغمت على تأويل معتقداتها المشركة تأويلاً فلسفياً يبرئها من تهمة الشرك والبدعة ، وتجعلها متشابهة بعقيدة التوحيد في الاسلام بقدر ما ، وبدأ رجالها وسدنتها ، يستحيون من الاعتراف بالشرك ويخجلون من ذكره ، وأصيبت هذه الأنظمة المشركة كلها بمركب النقص ، والشعور بالصغار والهوان Inferiority Complex فكانت هذه التحفة أغلى التحف التي سعدت بها الإنسانية بفضل بعثته ﷺ.

مبدأ الوحدة الانسانية والمساواة البشرية :

ومأثرته الثانية العظيمة ، ومنته الباقية السائرة في

www.abulhasanalinadwi.org

العالم ، هو تصور الوحدة الإنسانية . كان الإنسان موزعاً بين قبائل وأمم وطبقات بعضها دون بعض ، وقوميات ضيقة ، وكان التفاوت بين هذه الطبقات تفاوتاً هائلاً كتفاوت بين الإنسان والحيوان ، وبين الحر والعبد ، وبين العابد والمعبود ، لم تكن هناك فكرة عن الوحدة والمساواة إطلاقاً ، فأعلن النبي ﷺ بعد قرون طويلة من الصمت المطبق ، والظلام السائد ، ذلك الاعلان الثائر ، المدهش للعقول ، المقلب للأوضاع : « أيها الناس ان ربكم واحد ، وان أباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم ، وليس لعربي على عجمي فضل الا بالتقوى[1] » .

وهذا الإعلان يتضمن إعلانين ، هما الدعامتان اللتان يقوم عليهما الأمن والسلام ، وعليهما قام السلام في كل زمان ومكان ، وهما وحدة الربوبية والوحدة البشرية ، فالإنسان أخو الانسان من جهتين ، والإنسان أخو الإنسان مرتين ، مرة « وهي الأساس » لأن الرب واحد ، ومرة ثانية لأن الاب واحد : «يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء ، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيباً[2] » ، « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً

(١) كنز العمال .
(٢) سورة النساء ١ .

www.abulhasanalinadwi.org

وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ، ان الله عليم خبير[1] » .

إنها كلمات خالدة جرت على لسان النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - في حجة الوداع وحينما قام النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - بهذا الإعلان التاريخي العظيم ، لم يكن العالم في وضع طبيعي هادىء يسيغ فيه هذه الكلمات الجريئة الصريحة ، ويطيقها ، إن هذا الإعلان لم يكن أقل من زلزال هائل عنيف ، ان هناك أشياء قد نتحملها بصورة تدريجية ، أو من وراء ستار ، مثل الستار الكهربائي ، فقد نلمسه اذا كان مغطى أو داخلا في باطن الاسلاك . . . ولكننا اذا لمسناه عارياً أصابتنا صدمة عنيفة ، أو قضى علينا بتاتاً .

إن هذه الأشواط البعيدة ، والمسافات الشاسعة من العلم والفهم ، والفكر الإنساني التي قطعتها الإنسانية اليوم بفضل الدعوة الإسلامية ، وظهور المجتمع الإسلامي ، وبجهود الدعاة ، والمصلحين والمربين ، جعلت هذا الاعلان الهائل ، والثائر الفائر ، والمزلزل لأوكار الجاهلية ، ومعاقل الشرك والوثنية والعنصرية ، حقيقة يومية عادية ، تنادي بها اليوم كل مؤسسة سياسية واجتماعية في العالم ، ومنها ميثاق حقوق الانسان Hunan Rights Charter الذي حملت لواءه الأمم

---

(١) سورة الحجرات ١٣ .

www.abulhasanalinadwi.org

المتحدة ، وتصريحات تقوم بها كل جمهورية وكل مؤسسة عن الحقوق الإنسانية ، والمساواة الإنسانية ، فلا يستغربها أحد، ولكن أتى على الانسان حين من الدهر ، سادت فيه عقيدة أشرفية بعض الأمم والأسر وكونها فوق مستوى البشر ، وكانت بعض الأسر والسلالات تعزو نسبها الى الشمس والقمر ، والى الله سبحانه ، « تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً » ان القرآن حكى لنا قول اليهود والنصارى فقال : « وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه[1] » ، وكان فراعنة مصر يزعمون أنهم تجسيد لاله الشمس « رع » (Ray) ومظهر له .

وأما في الهند فقد عرفت فيها أسرتان سميتا « سورج بنسي » يعني أبناء الشمس ، و« جندر بنسى » أبناء القمر ، أما في ايران فقد كانت أكاسرتها يزعمون أنه يجري في عروقهم الدم الالهي ، وكان أهل البلاد ينظرون اليهم نظرة تقديس وتأليه ، وكان من ألقاب كسرى ابرويز (٥٩٠ ـ ٦٢٨) ووصفه « في الآلهة إنسان غير فان ، وفي البشر اله ليس له ثان ، علت كلمته ، وارتفع مجده ، يطلع مع الشمس بضوئه وينير الليالي المظلمة بنوره[2] » .

---

(١) سورة المائدة ١٨ .

(٢) ايران في عهد الساسانيين ص ٦٠٤ .

www.abulhasanalinadwi.org

وكذلك كانت القياصرة آلهة ، فكان كل من تملك زمام البلاد كان إلها ، وكان لقبهم August يعني « المهيب الجليل[1] » .

أما الصينيون فكانوا يعتبرون الأمبراطور إبن السماء ويعتقدون أن السماء ذكر والأرض أنثى وباتصالهما خلق هذا الكون ، وأن الامبراطور ختا الأول هو بكر هذين الزوجين[2] .

أما العرب فكانوا يعتبرون كل من سواهم « العجم » وكانت قبيلة قريش ترى نفسها أشرف قبائل العرب ، وتحافظ على امتيازها في الموسم ، فلا تشارك الناس في مواقفهم ومساكنهم[3] ولم تكن تدخل عرفات مع الحجيج ، بل تبقى في الحرم وتقف بالمزدلفة[4] ، وتقول نحن أهل الله في بلدته ، وقطان بيته ، وتقول نحن حمس[5] .

إعلان كرامة الإنسان وسموّه :

والمنة الثالثة العظيمة على النوع البشري ، هو اعلان

---

(١) راجع العالم الروماني «The Roman World» : تأليف Victor Chopart ص ٤١٨.

(٢) أنظر «تاريخ الصين» بقلم جيمس كاركرن.

(٣) أنظر كتب الحديث والسيرة.

(٤) عرفات خارج الحرم.

(٥) رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها.

www.abulhasanalinadwi.org

كرامة الإنسان وسموه ، وشرف الإنسانية وعلو قدرها ، لقد بلغ الإنسان قبل البعثة المحمدية إلى حضيض الذل والهوان ، فلم يكن على وجه الأرض شيء أصغر منه وأحقر ، وكانت بعض الحيوانات « المقدسة » وبعض الأشجار «المقدسة » التي علقت بها أساطير ومعتقدات خاصة ، أكرم وأعز عند عبادها ، وأجدر بالصيانة ، والمحافظة عليها من الإنسان ، ولو كان ذلك على حساب قتل الأبرياء ، وسفك الدماء ، وكانت تقدم لها القرابين من دم الإنسان ولحمه من غير وخز ضمير ، وتأنيب قلب ، وقد رأينا بعض نماذجها وصورها البشعة في بلاد متقدمة راقية ، كالهند في القرن العشرين ، فأعاد سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، إلى الإنسانية كرامتها وشرفها ، ورد إليها اعتبارها وقيمتها ، وأعلن أن الإنسان أعز وجود في هذا الكون وأغلى جوهر في هذا العالم ، وليس هنا شيء أشرف وأكرم ، وأجدر بالحب ، وأحق بالحفاظ عليه من هذا الإنسان ، إنه رفع مكانته حتى صار الإنسان خليفة الله ونائبه ، خلق له العالم ، وهو خلق لله وحده ، « هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً[1] » وأنه أشرف خلق الله ، وفي مكان الرئاسة والصدارة ، « ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً[2] » .

(١) سورة البقرة ٢٩ .
(٢) سورة الاسراء ٧٠ .

www.abulhasanalinadwi.org

وليس أدل على كرامته والاعتراف بعظمته من قوله : « الخلق عيال الله ، فأحب الخلق إلى الله من أحسن إلى عياله[1] » .

وليس هنا أبلغ في الدلالة على سمو الإنسانية ، والتقرب إلى الله بخدمتها ، والعطف عليها ، من الحديث الذي رواه أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ ، قال : « إن الله عز وجل يقول يوم القيامة ، يا ابن آدم مرضت فلم تعدني ! قال : يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين ، قال : أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده ! أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده ، يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني ! قال : يا رب كيف أطعمك وأنت رب العالمين ، قال : أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه ، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي ، يا ابن آدم! استسقيتك فلم تسقني ! قال : يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين ؟ ، قال : استسقاك عبدي فلان فلم تسقه ، أما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي[2] » .

هل يتصور إعلان أوضح وأفصح بسمو الإنسانية ، وعلو مكانة الإنسان من هذا الإعلان وهل فاز الإنسان بهذه

---

(١) رواه البيهقي.

(٢) رواه مسلم في صحيحه.

www.abulhasanalinadwi.org

المكانة السامقة ، والشرف العالمي في أي ديانة وفلسفة في العالم القديم والحديث ؟

إنه ﷺ ، جعل الرحمة على بني آدم الشرط اللازم لجلب رحمة الله ، فقال عليه السلام : « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء[1] » .

ترى ما كان عليه وضع العالم ، وحالته الإجتماعية والسياسية ، قبل أن ينهض النبي ﷺ ، بهذه الدعوة دعوة الوحدة الإنسانية ، والكرامة الإنسانية ، ويجاهد في سبيلها أبلغ جهاد .

لقد كان ثمن شهوة فرد واحد ، وهوى شخص واحد ، قبل بعثته ﷺ ، أكبر ، وأغلى من أرواح الآلاف ومئات الآلاف من البشر ، ينهض ملك واحد ، وأمبراطور واحد ، فيكتسح البلاد ، ويستبعد العباد ، ويضرب الرقاب ، ويهلك الحرث والنسل ، ويأتي على الأخضر واليابس لتحقيق مأرب حقير في نفسه ، ويزحف الإسكندر حتى يبلغ الهند ، ويدمر في طريقه حضارات ومدنيات ، وينهض سسرو ويقتنص الفئات البشرية ، كما يقتنص أحدنا حيوانات الغابة ، وأندلعت في زماننا حربان عالميتان ذهب ضحيتهما ملايين ، ولم يكن ذلك

---

(١) رواه أبو داود .

www.abulhasanalinadwi.org

إلا نتيجة صلف قومي ، وأنانية فردية ، وشهوة الحكم ، والسيطرة على الأسواق التجارية العالمية .

محاربة اليأس والتشاؤم ، وبعث الأمل والرجاء ، والثّقة والاعتزاز في نفس الإنسان :

المأثرة الرابعة أن أكثر أفراد النوع الإنساني كانوا مصابين باليأس من رحمة الله ، وبسوء الظن بالفطرة الإنسانية السليمة ، وكان في إيجاد هذا الجو الخاص ، والحالة العقلية الخاصة دور كبير لبعض الديانات الشرقية القديمة ، والمسيحية المحرفة في أوروبا ، وفي الشرق الأوسط ، فقد دانت الديانات القديمة في الهند بعقيدة التناسخ ، وفلسفته التي لا مجال عندها في إرادة الإنسان وتصرفه مطلقاً ، وأن كل إنسان مضظر لا محالة لنيل عقوبة ما ، لما قدمت يداه في حياته الأولى ، وذلك بالظهور في شكل سبع مفترس ، أو دابة سائمة ، أو حيوان خسيس ، أو إنسان شقي معذب .

بينما نادت المسيحية بأن الإنسان عاص ومذنب بالولادة والفطرة ، والمسيح صار كفارة وفداء له عن هذه الذنوب ، فأنشأت هذه العقيدة ـ بطبيعة الحال ـ في نفوس الملايين في العالم المتمدن المعمور الذين اعتنقوا المسيحية ، سوء ظن بنفوسهم ، ويأساً من مستقبلهم ، ومن الرحمة الأهية .

www.abulhasanalinadwi.org

هنالك أعلن النبي ﷺ ، بكل قوة وصراحة : أن فطرة الإنسان هي كاللوح الصافي ، الذي لم يكتب عليه بعد ، ويمكن أن ينقش فيه أروع نقش ، ويحرر فيه أجمل تحرير ، وأن الإنسان يستهل حياته بنفسه ، ويستحق الثواب والعقاب ، والجنة والنار بعمله ، وهو غير مسئول عن عمل غيره ، فقد ذكر القرآن في مواضع كثيرة ، أن الإنسان مسئول عن عمله فحسب ، وأنه مثاب ومشكور على سعيه : « ألاّ تزر وازرة وزر أخرى ، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الأوفى[1] » .

هذا الإعلان أعاد إلى الإنسان ثقته المفقودة بفطرته ومواهبه الطبيعية ، وانطلق إلى الأمام بعزم قوي ، وحماس زائد ، وعاطفة جياشة ليصنع مصيره ومصير الإنسانية ، ويجرب حظه وقدرته في تلك الإمكانيات الهائلة ، والفرص الغالية .

إن محمداً ﷺ ، قرر أن المعاصي والذنوب ، والأخطاء والزلات فترة عابرة ، زائلة ، في حياة الإنسان ، يقع فيها الإنسان بجهله وغروره ، وقصر نظره حينا ، وبإغواء الشيطان ، واغراء النفس بعض الأحيان ، وأن الصلاح والصلاحية ، والاعتراف بالذنب والندامة أصل من أصول

---

(١) سورة النجم ٣٨ ـ ٤٠ .

www.abulhasanalinadwi.org

فطرته ، وجوهر إنسانيته ، وأن الابتهال إلى الله ، والتضرع اليه ، والعزم الأكيد على عدم العودة إلى الذنب ، دليل على شرف الانسان ، وأصالة معدنه ، وهو ميراث آدم عليه السلام .

إن محمداً ﷺ ، فتح أمام المذنبين الخطائين ، الغارقين في حمأة المعصية والرذيلة إلى آذانهم ، باباً واسعاً للتوبة ، ودعا إليها الناس دعوة عامة ، وشرح فضل التوبة شرحاً وافياً ، وأفاض فيه إفاضة نستطيع بها القول بأنه أحيا هذا الركن الخاص العظيم من الدين ولذلك سمي « بنبي التوبة » من بين أسمائه الجميلة الأخرى ، إنه ما دعا إلى التوبة كوسيلة اضطرارية يتدارك بها الإنسان ما فاته فحسب ، بل إنه رفع من شأنها حتى صارت من أفضل العبادات ، والقربات عند الله ، وصارت طريقاً سهلاً للوصول ـ في أقرب وقت ـ إلى أقصى درجات القرب والولاية ، يغبط عليها النساك والزهاد ، والأبرياء والأطهار من عباد الله .

إن القرآن شرح فضل التوبة وسعتها ، ونقاء الإنسان من أكبر ذنب ، وأعظم معصية ، يتصورها الإنسان ، وذلك بأسلوب جميل يستهوى القلوب ، ودعا العصاة والمذنبين ، وصرعى النفس والشيطان إلى اللجوء إلى الله سبحانه ، والفرار إليه ، والتفيؤ بظلال رحمته ، والترامي في أحضان رأفته وعطفه وصور بحار رحمته الزاخرة ، الواسعة الأرجاء ، المحيط

www.abulhasanalinadwi.org

بالأنفس والآفاق ، تصويراً رائعاً جميلاً ، شائقاً مثيراً ، يبدو منه أن الله سبحانه وتعالى ليس حليماً رحيماً ، وجواداً كريماً فحسب ، بل إنه - إذا صح هذا التعبير - يحب التوابين ، ويشتاق إليهم ، ويشكر سعيهم البليغ ، ويقدّره كل التقدير ، اقرأ الآيات التالية ، وتذوق أسلوب هذا اللطف والعطف ، وجو الود الذي يغشى هذه الآيات :

« قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً ، إنّه هو الغفور الرحيم[1] » .

وأكثر من ذلك وأروع ما نجد في الآية التالية حيث الله سبحانه جماعات مختلفة من عباده الصالحين ، فاستهل هذه القائمة المشرقة النورانية بالتائبين ، إنها آية من سورة « التوبة » :

« التائبون العابدون الحامدون ، السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ، والحافظون لحدود الله ، وبشر المؤمنين[2] » .

هذا التكريم وتبرئة العبد التائب من ذنبه ، وإظهار الثقة به تجلّى واضحا حين أعلن القرآن قبول توبة ثلاثة من أصحاب

(١) سورة الزمر ٥٣

(٢) سورة التوبة ١١٢ .

www.abulhasanalinadwi.org

النبي ﷺ ، الذين تخلفوا عن غزوة تبوك[1] ، من غير عذر صحيح مقبول ، وبقوا في المدينة ، فبدأ القرآن بذكر النبي ﷺ ، والمهاجرين والأنصار ، الذين لم يتخلفوا عن هذه الغزوة ، ثم ثنى بهؤلاء الثلاثة الذين خُلّفوا ، حتى لا يشعر هؤلاء المخلّفون بإفرادهم بالتوبة ويكونوا بمعزل عن الشعور بالهوان ، وما يسمى في علم النفس « بمركب النقص » ، ويتضح للمؤمنين إلى يوم القيامة أن مكانتهم الطبيعية في الصف الأول من الصادقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، فلا داعي للاستحياء ، ولا مكان للعار .

هل هنا مثال أروع وأجمل ، وأدق وأعمق ، وأحلى وأزهى لقبول التوبة ، وتكريم التائب ، ومسح غاشية الكآبة عنه بلطف وود ، وحب وحنو في تاريخ الأديان والأخلاق ، والتربية والإصلاح ، من هذا المثال ؟ .

اقرأ معي الآيات التالية :

« لقد تاب الله على النبيّ والمهاجرين والأنصار ، الّذين اتّبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنّه بهم رؤوف رحيم ، وعلى الثلاثة الذين خُلّفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم

(١) اقرأ للتفصيل كتب السيرة، والتفسير، والحديث : « غزوة تبوك » وقد مرت القصة في هذا الكتاب في موضعها.

www.abulhasanalinadwi.org

أنفسهم وظنوا إن لا ملجأ من الله إلاّ إليه ، ثم تاب عليهم ليتوبوا ، إن الله هو التواب الرحيم[1] » .

ثم أعلن أيضاً كمبدأ عام أن رحمة الله تسع كل شيء ، وتسبق غضبه وجلاله ، يقول القرآن : « ورحمتي وسعت كل شيء[2] » ، وجاء في حديث قدسي : « إن رحمتي سبقت غضبي » إنه جعل اليأس مرادفاً للكفر والجهل والضلال ، وبين ذلك على لسان يعقوب عليه السلام : « إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون[3] » ، وذكر في موضع آخر قول ابراهيم ـ عليه السلام ـ فقال : « ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون[4] » .

وهكذا أسعف النبي ﷺ ، بهذه الدعوة المفتوحة العامة إلى التوبة وبيان فضائلها ، وسعتها وشمولها ، الإنسانية المذعورة الخائفة التي كانت تئن تحت وطأة اليأس ، والقنوط ، وترتعد فرائصها بإنذارات العقاب والعذاب ، ومظاهر الغضب والجلال ، وقد كان في ذلك لعلماء اليهود، وشراح الكتب المقدسة ، ورهبان المسيحية الغلاة المتطرفين أكبر نصيب ، ومنحها فرصة جديدة جميلة من الحياة ، ونفخ في قلبها الضعيف

---

(٢) سورة التوبة ١١٧ـ ١١٨ .
(٢) سورة الاعراف ١٥٦ .
(٣) سورة يوسف ٨٧ .
(٤) سورة الحجر ٥٦ .

www.abulhasanalinadwi.org

المتواني ، وجسدها الهامد البارد روحاً جديدة، وحرارة جديدة، وهيأ لجروحها بلسماً ، ورفعها من حضيض التراب إلى أوج العزة والسيادة ، والثقة والاعتزاز ، والاعتداد بالنفس ، والاعتماد على الله .

الجمع بين الدّين والدّنيا ، وتوحيد الصفوف المتنافرة ، والمعسكرات المتحاربة :

لقد وزعت الدّيانات القديمة خاصة المسيحية الحياة الإنسانية في قسمين ، قسم للدين ، وقسم للدنيا ، ووزعت هذا الكوكب الأرضي في معسكرين : معسكر رجال الدين ، ومعسكر رجال الدنيا ، وما كان هذان المعسكران منفصلين فحسب ، بل حال بينهما خليج كبير ووقف بينهما حاجز سميك ، وظلاّ متشاكسين متحاربين وكان كل واحد يعتقد أن هناك خصومة وعداء بين الدين والدنيا ، فإذا أراد إنسان أن يتصل بأحدهما ، لزم عليه أن يقطع صلته بالآخر ، بل يعلن الحرب عليه ، فلا يمكنه ـ على حد قولهم ـ أن يركب سفينتين في وقت واحد ، وأنه لا سبيل إلى الكفاح الاقتصادي ورخائه من غير غفلة عن الدار الأخرة ، واعراض عن فاطر السماوات والأرض ، ولا بقاء لحكم أو سلطة من غير إهمال التعاليم الدينية والخلقية ، والتجرد عن خشية الله ، ولا إمكان للتدين من غير رهبانية ، وقطع صلة عن الدنيا وما فيها .

www.abulhasanalinadwi.org

المعلوم المقرر أن الإنسان محب لليسر مجبول عليه ، وكل فكرة دينية لا تسمح بالاستمتاع المباح ، والنهضة ، والعزة ، والحصول على القوة والحكم ، لا تصلح للنوع البشري في الغالب ، إنه صراع مع الفطرة السليمة وكبت للغرائز الطبيعية البريئة ، في الإنسان ، وكانت نتيجة هذا الصراع أن العدد الأكبر من أصحاب الفطنة والذكاء ، والكفاءات العلمية ، آثر الدنيا على الدين ، ورضي بها ـ كحاجة اجتماعية ، وواقع حي ـ وأطمأن إليها ، وعكف على تحسين هذه الحياة ، والحصول على ملذاتها ، ولم يبق له أمل في الرقي الديني ، والتقدم الروحي .

وأكثر الذين هجروا الدين بصورة عامة ، هجروه على أساس هذا التناقض الذي حسبوه حقيقةً بديهية مسلمة ، وثار البلاط الذي كان يتزعم الحكم الدنيوي ، على الكنيسة التي كانت تمثل الدين، وتجرد عن سائر قيوده ، فصارت الحكومات ـ بطبيعة المنطق ـ كفيلٍ هائج مائج ، تخلص من سلاسله وقيوده ، أو كجملٍ هائم حبله على غاربه ، هذا الانفصال النكد بين الدين والدنيا ، وذلك العداء المشئوم بين « رجال الدين ورجال الدنيا » فتح الباب على مصراعيه للالحاد واللادينية ، وكانت فريسته الغرب أولاً ، والأمم التي دانت له في الفكر والعلم والثقافة ، أو عاشت تحت رايته ثانياً .

وزاد الطين بلة دعاة المسيحية المتطرفون ، والمفرطون

www.abulhasanalinadwi.org

الذين كانوا يعتبرون الفطرة البشرية أكبر عائق في التزكية الروحية والاتصال بالسماء الذين لم يدخروا وسعاً في إذلالها وتعذيبها بأنواع من الأحكام القاسية والتعاليم الجائرة[١] ، وقدَّموا صورة وحشية ، كالحة مفزعة للدين تقشعر منها جلود الذين آمنوا وآل الأمر في نهاية الشوط إلى تقلص ظل الدين ، وبلغت عبادة النفس والهوى - في أوسع معناها - إلى ذروتها ، وأصبحت الدنيا تتأرجح بين طرفي نقيض ، ثم سقطت أخيراً بضعف الوازع الديني أو فقدان الحاسة الدينية في هوة عميقة من اللادينية ، والفوضى الخلقية العامة[٢] .

وأعظم هدية للبعثة المحمدية ، ومنتها العظيمة ونداؤها الذي دوت به الآفاق أن أساس الأعمال والأخلاق ، هو الهدف الذي ينشده المرء ، والذي عبر عنه الشارع بلفظ مفرد بسيط ، ولكنه واسع عميق « النية » ، فقال : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى[٣] » .

---

(١) أنظر «تاريخ أخلاق اوروبا» ج٢ ،لمؤلفه ليكي .

(٢) اقرأ للتفصيل كتاب « الصراع بين الدين والعلم» . لدرابر

(Conflict Between Religion and Science

أو « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » .

الباب الرابع «العصر الأوربي» .

(٣) الحديث الصحيح الذي بلغ عند بعض المحدثين حد الاستفاضة والشهرة، والذي افتتح به الامام البخاري كتابه «الجامع الصحيح» ، وتمام الحديث«انما الأعمال بالنيات، وانما لكل امرىء ما نوى؛ فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه» (حديث متفق عليه) .

www.abulhasanalinadwi.org

وإن كل عمل يقوم به الإنسان ابتغاء مرضاة الله، وبدافع الإخلاص، وامتثال أمره وطاعته، هو وسيلة إلى التقرب إلى الله، والوصول إلى أعلى مراتب اليقين، ودرجات الإيمان وهو دين خالص لا تشوبه شائبة، ولو كان هذا العمل جهاداً وقتالاً وحكماً وإدارة، وتمتعاً بطيبات الأرض، وتحقيقاً لمطالب النفس، وسعياً لطلب الرزق والوظيفة، واستمتاعاً بالتسلية البريئة المباحة، والحياة العائلية والزوجية، وكل عبادة وخدمة دينية ـ بالعكس من ذلك ـ تعتبر دنيا اذا تجردت من طلب رضا الله سبحانه، والخضوع لأوامره ونواهيه، وغشيتها غاشية من الغفلة، ونسيان الآخرة، ولو كانت صلوات مكتوبة، ولو كانت هجرة وجهاداً وذكراً وتسبيحاً وقتالاً في سبيل الله، ولا يثاب عليه العامل، والعالم، والمجاهد، والداعي، بل قد تعود تلك الأعمال والخدمات عليه وبالاً، وتكون بينه وبين الله حجاباً[1].

إن المأثرة الخامسة من مآثر سيدنا محمد ﷺ، أنه ملأ هذه الفجوة الواسعة بين الدين والدنيا، وجعل هذين المتنافرين المتباعدين، اللّذين عاشا في خصام دائم، وعداء سافر، وحقد مستمر، يتعانقان في إلف وود، ويتعايشان في سلام ووئام، إنه ﷺ، رسول الوحدة، وبشير ونذير في الوقت

(١) كتب الحديث زاخرة بالآثار الدالة على ذلك، أنظر أبواب الأخلاص والنية، والايمان؛ والاحتساب.

www.abulhasanalinadwi.org

ذاته ، إنه أخذ النوع البشري من المعسكرين المتحاربين إلى جبهة موحدة ، من الإيمان، والاحتساب ، والعطف على البشرية ، وابتغاء رضوان الله ، وعلمنا هذا الدعاء الجامع ، المعجز الواسع « ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار[1] » .

إنه أعلن بالآية القرآنية : « إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين[2] »، إن حياة المؤمن ليست مجموع وحدات متفرقة مضادة ، بل هي وحدة تسيطر عليها روح العبادة والاحتساب ، ويقودها الإيمان بالله والإسلام لأوامره ، وهي تشمل شعب الحياة كلها ، وميادين الكفاح كلها ، وأصناف العمل كلها ، إذا تحقق الأخلاص ، وصحت النية ، وأريد بها وجه الله ، وكانت على المنهج الصحيح الذي جاء به الأنبياء فدل ذلك على أنه رسول الوحدة والوئام والانسجام بالكمال والتمام، وأنه البشير والنذير في نفس الوقت ، إنه قضى على نظرية الانفصال بين الدين والدنيا ، فجعل الحياة كلها عبادة، وجعل الأرض كلها مسجداً ، وأخذ بيد الانسان من معسكرات متحاربة متصارعة، إلى جبهة واحدة واسعة من العمل الصالح ، وخدمة الانسانية النافعة ، وابتغاء مرضاة

---

(١) سورة البقرة ٢٠١ .
(٢) سورة الانعام ١٦٢ .

www.abulhasanalinadwi.org

الله، فترى هناك ملوكاً في أطمار الفقراء ، وزهاداً في زي الملوك والأمراء ، جبال حلم وينابيع علم ، عباد ليل وأحلاس خيل ، من غير تناقض او صعوبة ، واختلال أو تعسف .

تعيين الأهداف والغايات وميادين العمل والكفاح :

المأثرة السادسة ، أو الانقلاب السادس الذي أحدثه محمد ﷺ ، في الحياة البشرية أنه هدى الإنسان إلى محل لائق كريم يصرف فيه قواه ، ورفعه إلى أجواء فسيحة عالية يحلق فيها .

كان الانسان قبل البعثة المحمدية جاهلاً لهدفه الحقيقي ، لا يدري إلى أين يتجه ، وإلى أين المصير؟ ، وما هو المجال الأفضل والحقيقي لمواهبه وطاقاته وجهوده ؟

إنه وضع لنفسه مقاصد وهمية صناعية ، وحصر نفسه في دوائر ضيقة محدودة ، كانت تستنفد قواه وطاقاته وذكاءه وكان المثل الأعلى عنده للرجل الناجح واللامع من يكون اكثر جمعاً ومالاً ، وأوسع نفوذاً وقوة ، متحكماً في أكبر مجموعة من البشر ، وأوسع بقعة من بقاع المعمورة ، كان هناك ملايين لم يزد طموحهم على التمتع بألوان زاهية ، وأصوات مطربة ، وأطعمة لذيذة ، وأكثر من تقليد البلبل في صوته ، أو الطاووس في لونه ، بل أكثر من مسايرة الماشية والغنم ،

www.abulhasanalinadwi.org

والأنعام والدواب ، كان هناك آلاف عاشوا دائماً بين بلاط الملوك ، وحاشيتهم ، وبذلوا نبوغهم وذكاءهم في التزلف إلى الأمراء ، والتملق أمام الأغنياء ، أو الخضوع للجبابرة ، والأقوياء ، أو التسلي بالأدب الفارغ الذي لا قيمة له في الدنيا والآخرة ، فجاء محمد ﷺ ، وجعل غايته الأخيرة الحقيقة ، وهدفه الأعلى المنشود نصب عينيه ، وأرسخ في قلب الإنسان ، أن المجال الحقيقي لجهده واجتهاده ، ومواهبه وأشواقه ، وطموحه وسموه وطيرانه وتحليقه ، هو معرفة فاطر السماوات والأرض والاطلاع على صفاته ، وقدرته وحكمته ، وسعة ملكوت السماوات والأرض وعظمتها وخلودها ، والحصول على الإيمان واليقين والفوز برضوان الله وحده ، والرضا به وبقدره ، والبحث عن وحدة تؤلف بين الأجزاء المتناثرة أحياناً ، والمتناقضة أحياناً أخرى ، وتنمية قواه الباطنة ، ومداركه الروحية ، للوصول إلى درجات القرب واليقين ، والحث على خدمة الانسانية ، والإيثار والتضحية ، والوصول بذلك إلى مكان لا تصل إليه الملائكة المقربون ، وتلكَ السعادة هي الحقيقية للإنسان ، ونهاية كماله ، ، ومعراج قلبه وروحه .

ولادة عالم جديد ، وإنسان جديد :

لقد تغيرت الدنيا بعد بعثة النبي ﷺ ، وبفضل تلك التعاليم السامية ، كما يتغير الطقس ، وانتقلت الانسانية من

www.abulhasanalinadwi.org

فصل كله جدب وخريف ، وسموم وحميم ، إلى فصل كله ربيع ، وجنات تجري من تحتها الأنهار، وتغيرت طباع الناس ، وأشرقت القلوب بنور ربها ، وعمّ الإقبال على الله ، واطلع الانسان على طعم جديد لم يألفه ، وذوق لم يجربه ، وهيام لم يعرفه من قبل .

انتعشت القلوب الخاوية الضامرة الباردة الهامدة ، بحرارة الإيمان وقوة الحنان ، استضاءت العقول بنور جديد ، وسكرت النفوس بنشوة جديدة، وخرجت الانسانية أفواجاً تطلب الطريق الصحيح ومحلها الرفيع ، وتحنّ إلى مكانتها السامقة العالية ، فلا ترى أمة من الأمم ، وبلداً من البلاد ، إلاّ وهو يريد السباق في هذا المضمار ، ويتنافس فيه، فما ترى العرب والعجم ، ومصر والشام ، وتركستان وايران ، والعراق وخراسان ، وشمالي أفريقية ، والأندلس ، وبلادنا الهند ، وجزائر شرق الهند ، إلاّ سكارى هذا الحب العلوي، والفيض السماوي ، وعشاق هذا الهدف السامي ، وفقراء على هذا الباب العالي .

كان يبدو أن الإنسانية أفاقت واستيقظت ، وفتحت عيونها بعد سبات عميق طويل ، دام قروناً طويلة . فأرادت أن تتدارك ما فاتها حتى عمر كل جزء من أجزائها ، وكل ركن من أركانها بدعاة ربانيين مخلصين ، مجاهدين مصلحين ، مربين ، عارفين بالله . . . متحرقين لخلق الله ، باذلين نفسهم

www.abulhasanalinadwi.org

ونفيسهم لخير الإنسانية ، وإنقاذها من الخطر المحدق بها من كل جانب ، رجال تحسدهم الملائكة ، فأشعلوا مجامر القلوب الباردة ، وأزكوا شعلة الحب الآلهي ، وفجروا أنهار العلو والآداب ، والحكم والمعارف ، وفتحوا ينبوعاً فياضاً ، متدفقة من العلم والعرفان ، والإيمان والحنان ، وأنشأوا في نفوس البشر مقتاً شديداً للظلم والجور ، والعدوان والبغضاء ، ولقنو الشعوب المضطهدة ، المهانة الذليلة دروس المساواة ، وضمو المنبوذين والمهجورين ، والمساكين الذين لفظهم المجتمع ، وطردهم أهلهم وعشيرتهم إلى صدورهم العامرة بالحب والحنان ، إنك تجد آثارهم وتلمس آياتهم على كل جزء من أجزاء البسيطة كمواقع القطر ، لا يخلو منها بيت وبر ، ولا مدر .

وانظر في جوهر أعمالهم وكيفيتها Quality فضلاً عن كميتها Quantity وشاهد سمو أفكارهم ، وتحليقها في أجواء وآفاق رفيعة ، وانظر شعورهم المرهف ، وروحهم اللطيفة الوادعة الرقيقة ، وذكاءهم الوقاد ، وطبعهم السليم ، وكيف كانوا يتوجعون للإنسانية ويذوبون لها كالشمعة ، وكيف كانت نفوسهم وأرواحهم تتلوى وتذوب في نار الأسى ، والإشفاق ، والعطف على الخلق ، والحرص على ما فيه نفعه وصلاحه ، كيف كانوا يقعون في المهالك ، ويرحبون بالخسائر لإنقاذ الناس ، ودفع البلاء عنهم ، وكيف كان حكامهم وولاة

www.abulhasanalinadwi.org

أمورهم ، يصرفون الأمور ، ويشعرون بالمسئولية ، يعسون بالليل ويترابطون على الثغر ، وكيف كان الشعب منسجماً معهم ، مطيعاً لأوامرهم ، واقرأ ـ أيضاً ـ أخبار عبادتهم ، وزهدهم ، وحالتهم في الدعاء ، ومكارم أخلاقهم ، وشهادتهم على نفوسهم ، واحتسابهم لها ، وحبهم للصّغار ، والضّعفاء ، ولين قلوبهم مع الإخوان والأصدقاء ، وكرمهم وسماحهم ، وعفوهم وصفحهم عن الأعداء ، سوف ترى أن أحلام الشعراء والأدباء ، وخيالهم الخصيب ، وقريحتهم الفياضة ، لا تصل إلى تلك القمة العالية التي وصل إليها هؤلاء في عالم الحقيقة والواقع ، ولولا تواتر ما جاء في هذا الباب واستفاضته ، ولولا شهادات التاريخ الموثوق بها ، بدت هذه الأخبار كقصص وأساطير نسجها الخيال .

إن هذا الانقلاب العظيم ، والدور الزاهر الجديد معجزة من معجزات محمد ﷺ ، ومأثرة من مآثر بعثته ، ونفحة من نفحات الرّحمة الإلهية التي عمت الأمكنة كلها ، والأزمنة كلها .

وصدق الله العظيم :

« وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين »

---

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org